ليلة الاهوال

معرّبة من الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناضر (تابع لما سبق)

وتتبّع الفتى بعد ذلك خطوات صاحب الفندق الذي جاء يقوده الى الحجرة التي اعدّها لمنامه وكان حاملًا تحت ابطه كيس اوراقه الذي لم يظل في جانبه مدّة تلك المسامرة

وانبرت المرأة ايضاً فحملت مصباحاً ومشت ومشى الفتى وراءها حتى انتهت الى آخر الممشى فوصلت الى حجرة في طرف البناء لها سلّم من الخشب الناخر. فلمّا وقف هناك الفتى داخلهُ العجب لما رأى ان صاحب الفندق قد فصلهُ عن رفيقه وقد ساءهُ ان يرى الباب بلا قفل ولا موصد فخاف غير انّهُ كتم خوفهُ ولم يُبدِ سوى حركة تدل على انهُ غير راضٍ من المبيت في ذلك المحل

فقالت لهُ المرأة « أساءك ان ترى بابك لا يُغلق غلقاً محكماً » واخذت حينئذٍ

تعطيه من طرف اللسان حلاوةً وتروغُ منهُ كما يروغ الثعلب

الى ان قالت: « نم بامانٍ ايها الفتى ولا تخشَ امرًا مكروهاً فهيهات ان يدخل اللصوص هذه الديار ثمّ أنعمْ فوق ذلك بكلبَينا « دارا » و« ملور » حارسين متيقظين يطوفان حول الدار فيحسبان الذمار »

فقال: « حسبنا الله ايتها المرأة واسعد الله مساءك ». ولم يرَ من المناسب ان يعلمها انهُ يخاف من هجوم اللصوص اقلّ ممّا يخاف لو تفقدهُ اصحاب الفندق ليلًا غير ان ذلك مرّ في مخيّلته كالوهم ولم يقم عندهُ ما يؤيدهُ فانصرف فكرهُ الى معدّات راحته وغلب عليه النعاس

وكانت الحجرة واسعة الارجاء خالية من الاثاث لا ترى فيها سوى بعض قطع من الزرابي مدلّاة على الجوانب التي لم تكن مطلاةً بالكلس وقد شمر الفتى بهواء وطب ينفح من شقوق الزجاج المكسور الذي سُدّ بالواح تكسّرت على تكرار الهبوب وعلم انهُ كان افضل لهُ ان ينام على التبن في الاهراء او يلقي ظهرهُ على حجر في الحظيرة بين المواشي من ان يقضي ليلتهُ في تلك الغرفة على سوء حالها ولو لم يثقل

النعاس على جفنيهِ ويتحكم الغمض عليهما لرأى ما جعل نفسهُ تتقزَّز من الاقذار والاوساخ

فما دخل تلك الحجرة حتَّى استلقى على فراشهِ فيها كالصريع غير انهُ مرَّ بخاطرهِ انَّهُ لم يصلِّ بعد صلاة العشيِّ وتذكر وصيَّة امهِ بهذا الشأن كما حتمت عليهِ ان يقرأ كلَّ يوم صحيفة من كتاب الاقتداء الذي يحملهُ فقال: « اللهمَّ ان التعب قد انهك قواي حتى امسيت لا اقدر على الحركة غير ان فروضي تدعوني الى النهوض الى الصلاة والشكر على ما اوليتني من النعم في هذا النهار وانا لا اريد ان اكون عقوقًا تاركَ الجميل. هذا واني مضطرٌّ الى استمداد عنايتك اللهمَّ حتى تحرسني في هذا الليل الذي يطوي رداء الظلمة على عبدك هذا الضعيف »

فثابت اليهِ همتهُ وتشدَّدت عزيمتهُ فنهض من فراشهِ وركع على الارض وصلى صلاة الفرض كما كان يصليها في بيت ابيهِ

ثمَّ مال بهِ الكسل والتراخي الى نبذ كتاب الاقتداء وكاد يرمي بهِ الى الارض وينام الَّا ان الله تعالى الذي يرعاهُ بعين عنايتهِ لم يهملهُ بل جعل فيهِ نشاطًا وهمةً غلب بهما الميل الذي لوى بهِ الى تأخير القراءة وتأجيلها الى يوم ثانٍ ولم يدرِ ان ذلك كان من عناية الله بهِ إشفاقًا عليهِ من ان تمتدَّ اليهِ يد الغدر فيذهب فريسة الشرّ. فقال: « لا بدَّ لي من اتمام واجباتي مهما كان من ضعف حالي وقد شرطتُ على نفسي ألَّا انام حتى اتلو صحيفة من كتاب الاقتداء والشرط املك عليك ام لك »

قال هذا ثمَّ جمع ما بقي فيهِ من القوى حتَّى تمكن من تبليل عينيهِ بقليل من الماء واصلح ذبالة السراج حتى تبيَّنت لهُ الحروف وقد رفع العلامة التي فيهِ ووضعها على رفّ فوق رأسهِ وشرع يقرأ في كتاب الاقتداء

ولا يخفى ان كتاب الاقتداء بالمسيح كتاب فريد في بابهِ عجيب في خطابهِ وجوابهِ يجد فيهِ القارئ تعزية وسلوى ودواء عند وقوع البلوى فانَّ واضعهُ اودع فيهِ من الحكم القدسيَّة والتأسيات النفسيَّة ما يقف عندهُ كل كاتب في باب العجز والقصور فانهُ يفعل في النفوس ما يحقّ ان يقال بعدهُ : لا عطر بعد عروس. ترى فيهِ دواء لدائك وفرجًا في بلائك فانهُ يجيب السائل على سؤالهِ ويكشف لهُ النقاب عن جميع احوالهِ فيملأ قلبهُ سرورًا وافراحًا وبهجة وارتياحًا وهو الهاتف المنبئ بالخير والحرز الواقي من الضير. ولنا

في هذا الفتى برهانٌ على ما تقدَّم فانَّهُ ما شرع يقرأ فيهِ حتى انقشعت غيوم الهموم التي تكاثفت على ذهنهِ ولم يشعر بانحطاطهِ ووهنهِ لاسيما اذ قرأ هذه العبارة وهي:

« كن سليم الضمير وثق بالله والله يحرسك من الاذى فان الانسان اذا ما حرسهُ الله وشملهُ بعنايتهِ اصبح في امن من صروف الحدثان » على حدّ ما قال الشاعر:

واذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهنَّ امانُ

فلمَّا قرأ الفتى هذا انتعشت نفسهُ وسرَّ من تغلُّبهِ على كسلهِ حتى تمكَّن من قراءة فرضهِ قبل ان يكحل عينيهِ بالوسن ويستسلم لداعي النوم ساكن الفؤاد

ثمَّ مدَّ يدهُ الى العلامة حتى يضعها في الكتاب واذا بريح هبَّت فاطارتها في سماء الحجرة ثمَّ رمتها في احدى زواياها بعيدًا والفتى لم يدرِ بالمكان الذي وقعت فيهِ فقام يفتش عنها. ولمَّا لم يهتدِ اليها ظنَّ انَّ الريح نسفتها فدخلت تحت الفراش فهمَّ ان يرى ما هنالك فوضع السراج على الارض وانكبَّ على صدرهِ ومدَّ يدهُ تحت الفراش فاذا بالحضيض حفرةٌ فزحف اليها ليرى ما هنالك فوجد ترابًا مبثوثًا على جرمٍ لم يعرف حقيقتهُ فازال التراب عنهُ قليلًا وما لبث ان صاح: «يا للداهية الدهياء». فان انامله كانت قد وقعت على شبه جسم بارد فقرَّب السراج واذ بالجسم هو جثة رجل مذبوح حديثًا لم يزل دمهُ طريًّا عبيطًا

فلبث الشاب كأن صاعقةً انقضَّت على امّ رأسهِ فاقشعرَّ بدنه وارتعدت فرائصهُ وقفَّ شعر رأسهِ وسال على جبينهِ عرق بارد وكادت انفاسهُ تخمد من شدَّة ما استولى عليهِ من الخوف والدهشة

وحاول ان يصرخ ويستغيث فخانتهُ قوَّتهُ اذ يبس لسانهُ في حلقهِ ولم يشكَّ انهُ هالك لا محالة وقد سمع طنين الموت في اذنيهِ

فلبث برهة من الزمن كانهُ غائب عن الوجود ولمَّا مضت عنهُ هذه الأزمة الشديدة وانحلَّت عقدة لسانهِ قام على حيلهِ لكنَّهُ شعر بان قواهُ تضعضعت وسقط على الحضيض فوجَّه عينيهِ الى السماء وصلى ولسانهُ يتلجلج فقال: « اللهمَّ أفي هذا المكان حلَّ اجلي وحانت منيَّتي أفيهِ اموت ميتة هذا المسكين الذي يخبط بدمهِ امامي. اللهمَّ اشمل بعنايتك ورحمتك عبدك هذا الذي ركب شططًا مشومًا ساقهُ الى الوقوع في يدي

القتلة المارقين هب لي يا الله قوّة ونفّس كربي ومهّد لي طرق الخلاص من هذه التهلكة التي تورّطتُ فيها »

ثمّ القى بنفسهِ على الفراش وقال: « يا الله ان هذا العقاب الذي عوقبتُ بهِ لحقٌّ وعدل فلتكن مشيئتك »

قال هذا واخذ يستعدّ للموت مستسلماً بين يدي الرحمان. فشعر ان عقلهُ ثاب اليهِ وزال عنهُ الخوف وتأيّد بمددٍ من السماء بهِ اعتدلت بصيرتهُ فاخذ يفكر بالحيلة التي ينبغي ان يحتال بها ليتخلّص من اشراك المنون التي وقع فيها فقال في نفسهِ:

على المرء ان يسعى بما فيهِ نفعهُ وليس عليهِ ان تتمّ المقاصدُ

واخذ يقدح زناد الفكر ليرى الوسائل التي بها يقوى على المدافعة حينما يهجم عليهِ اولئك القتلة او يجد مهرباً او مناصاً ينجو بنفسهِ منهُ

واوّل ما خطر على بالهِ ان يطرق باب ذلك الكاتب صديقهِ ويخبرهُ عن الخطر العظيم الذي ادركهُ وهو في غفلة عنهُ ثم رأى ان المسافة بينهُ وبين الكاتب بعيدة وانهُ لا خبرة لهُ في الطريق التي تؤدّي اليهِ في ذلك المشى الطويل وانهُ اذا ما نزل سلّم الخشب لا بدّ من حركةٍ او صوت ينتبه لهُ الغافلون ورأى ان نداءهُ فعلى الدنيا السلام

فلمّا ضاق ذرعهُ وقلّت حيلتهُ عمد الى الهرب وطفق يفكر في كيفيّتهِ وزمانهِ لعلّهُ يجد باباً للخلاص وحكم ان صاحب الفندق وزوجتهُ لم يناما تلك الليلة الهائلة وانهما يتنبّهان عند وقوع صوت من الاصوات او حركةٍ من الحركات وانهُ لا يبعد ان يكونا منتظرين الى نصف الليل حتى يقدما على ارتكاب الجناية فيفتكان بهِ فتكاً ذريعاً

فجعل الفتى يقوّي العزم المتذبذب ويثبت رويّاً يجمع عقلهُ فيحتال لنفسهِ حيلةً يتخلّص بها وقد رأى نفسهُ انهُ على شفا جرفٍ هارٍ. وبينما هو على هذه الحالة من اليأس والقنوط خطر لهُ ان يحتال حيلة سمعها من ابيهِ عن احد السابلة فعمد الى احد منافذ الحجرة ففتحها فاشرف منها على ما هنالك فتراءى لهُ الفضاء وكان قريباً من الحظيرة والزريبة وكان المنفذ عالياً غير انهُ ظنّ انهُ يقدر ان ينسلّ فيتملّص ولم يكن عليهِ الّا ان يثب وثبةً لم يرَها تستحيل عليهِ

فعاد الى الحجرة ووضع المصباح. وهمّ بسحب تلك الجثّة من مكانها. فلمّا اخرجها من حفرتها وضعها على الفراش بشجاعة ما عهدها في نفسهِ الّا ذلك الحين وقد

حمل ذلك على ما سبق لله تعالى من العناية في عبيده وعلّق عليه سرًّا سماويًا

ثمَّ نظر اليها فرأها جثة شاب من احسن الشبان فتلك صاحبا الفندق به من عهد قريب جدًّا فان الدم الخارج من حنجرته بالذبح لم يزل رطبًا وحكم ايضًا انهما عارضاهُ في نومهِ فذبحاهُ ذبح الشاة ورمياهُ تحت الفراش متربّصين حلول فرصة فينتهزانها و يرفعان تلك الجثة من المكان الذي هي فيه

فسبل الفتى حينئذٍ الغطاء عليها وهي ملقاة على فراشهِ والبسها قبعتهُ حتى اصبح الميت اشبه بالحي النائم وترك حوائجهُ امام الفراش واطفأ مصباحهُ وانسلَّ ينسحب الى موضع الجثة التي اخرجها وانقلب فيهِ متزويًا

ومن المعلوم ان الفتى امتنع عنهُ النوم وتعذَّر عليهِ وانهُ لبث جامدًا ناصتًا صاغيًا كل الاصغاء يراقب اخفّ الحركات في ذلك الليل الهائل وقد مرَّ عليهِ وهو على هذه الحالة ساعتان من الزمن واذا بالساعة دقّت فكان نصف الليل

وحينئذٍ لمح من خلال الباب شعاعًا من النور وسمع بعدهُ صرير الباب وصوت خطوات ارجل تدنو اليهِ وكان الداني حاملًا في يدٍ سراجًا ضعيف النور وفي الاخرى آلة جارحة اشبه بالساطور (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

DIE WIEDERHERSTELLUNG DES IÜD. GEMEINWESENS NACH DEM BABYLONISCHEN EXIL.

Von D^r J. Nikel, Freiburg, 1900, SS. VII-227

رجوع اليهود من جلاء بابل للدكتور حنَّا نيكل

سبق لنا في المشرق (٣ : ٣٣١) ذكر الجمعيَّة العلميَّة الكاثوليكية التي أُنشئت منذ عشر سنوات في المانيا للبحث في العلوم الكتابيَّة وشرح الاسفار الالهيَّة وما ابرزتهُ الى يومنا من المآثر الناطقة بفضل اصحابها. والكتاب الذي كُلفنا اليوم بوصفهِ هو اثر جديد من اعمال هذه الجمعيَّة بحث فيهِ الدكتور نيكل احد اساتذة كليَّة برسلاو عن تاريخ اليهود في آخر جلاء بابل وعودهم الى اوطانهم واحوالهم منذ ايَّام كورش الملك (سنة ٥٥٨ ق م) الى ايَّام داريوس الثالث كودومانس الذي غلبهُ الاسكندر (سنة